عالمية
الشعائر الحسينية
بين الواقع والطموح

من محاضرات
المرجع الديني سماحة آية الله العظمى
السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله العالي

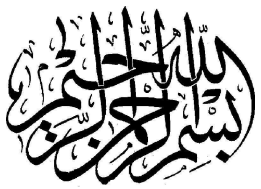

الفاتحة الى أرواح المؤمنين والمؤمنات

بالأخص المرحوم السيد حيدر سيد حسن سيد حسين بن علوي

المرحومة السيدة فخرية سيد محمد سيد حسين بن علوي

عالمية الشعائر الحسينية بين الواقع والطموح

محاضرة ألقاها سماحة المرجع الديني

آية الله العظمى الحاج السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله العالي

في ليلة الحادي عشر من محرم الحرام سنة ١٤٣٩هـ

إعداد: مؤسسة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الثقافية ـ الدينية / كربلاء المقدسة

منشورات: مؤسسة أم أبيها عليها السلام الثقافية ـ الخيرية

الطبعة الأولى / محرم الحرام ١٤٤٠

عدد المطبوع: ١٠٠٠٠

المقدّمة

إن ثورة الامام الحسين عليه السلام كانت ولازالت هي العلامة الفارقة في التاريخ الاسلامي بين الحق والباطل، فماحصل في العاشر من محرم الحرام عام ٦١ هجرية كان له خصوصيته المؤثرة فيه سواء من حيث شخصية قائد الثورة الامام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام سبط النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله الذي خرج وضحى بأهله وصحبه طلباً للاصلاح في الأمة الإسلامية بعد مابدا فيها الإنحراف واستشرى الظلم في الجسد الإسلامي، أو من خلال النهاية المأساوية الممتزجة بالغدر والحقد والبشاعة للإمام وذويه وصحبه والتي أمتزج، وهي من العوامل التي جعلت من هذه الثورة مثالا نموذجياً للتضحية والفداء والشجاعة والبطولة.

واذا كانت معركة الطف قدانتهت الى انتصار سهل للجيش الأموي على المعسكر الحسيني حسب المقايس والموازين العسكريةالمادية، جاز وصفها بالفاجعة الكبرى.

وإذا كان سيد الشهداء عليه السلام قدّم كل تلك التضحيات من أجل أن يبقى دين الإسلام أصيلاً كما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله محققاً

للعدل وممكن اللبشرية من نول آمالها وتطلعاتها، جاز أن قدوة للأحرار وصرخة ينادي بها كل طالب حق وإنصاف، وحق له ذلك إذ أعطى لله كل ما يملك، فأعطاه العلي العظيم أعلى منزلة في الخلود السرمدي، وجعله مصباح هداية.

ومن هذا المنطلق يلزم علينا أن لا نكتفي بممارسة وإحياء شعائره فقط، بل تطبق المبادئ والقيم التي استشهد من أجلها عليه السلام والعمل على ترويجها في العالم أجمع لتدب الروح فيه متحلية بالقيم الإنسانيةالرفيعة، وإذا ما حصل ذلك فسوف نرى النتائج الباهرة، ويعمّ الخير ويتحقق الاستقرار والازدهار الحقيقي في كل الربوع وينال الإرتقاء نحو التكامل وهو مانسعى إليه من طموح.

وفي جميع الأحوال ينبغي استثمار كل الامكانات والطاقات من أجل إحياء الشعائر الحسينية وتعظيمها بالشكل المطلوب، أن لانتجاوز أي إمكانية متاحة وأي طاقة في هذا المجال.

كما يلزم أن لا ننسى أنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام من خروجه: هداية الإنسان والمتمثلة بتغيير محتواه الداخلي (عقله وقلبه وإرادته) لينسجم والمنهج الإلهي في الحياة الكريمة التي أرسى أركانها رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام، ذلك الهدف

الذي يرعاه اليوم ويذكيه المرجعية الشيعية بالتبلغ للشعائر الحسينية والحث على إقامتها وتوضيح وبيان أهميتها في تغذية الإنسانية بالقيم والمبادئ والفضائل والكرامات،وذلك بإلقاء الخطب والمحاضرات، وخصوصاًالخطب والمحاضرات والتوجيهات التي يلقيها سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله العالي في مناسابات عديدة فكلها يصب في هذا الإتجاه، وتعد بحق منابر تربوية كفيلة بإن تأخذ بيد الإنسان الى جوهر الإنسانية وقمة الرقي والتقدم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطيبيين الطاهرين

عظم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بالحسين عليه السلام وجعلنا وإياكم من الطالبين بثاره مع وليه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من آل محمد صلى الله عليه وآله.

تعزية وشكر

في البداية نرفع أسمى آيات التعازي والمواساة لمقام مولانا ومقتدانا الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف: بإعتباره هو المعزى في هذا المصاب الجلل وولي دم جده الإمام الحسين عليه السلام، وسوف ينهض يوماً وينتقم من أولئك الذين شايعوا وبايعوا وتابعوا على قتله وسبي عياله، والمطالبة بذلك الدم الطاهر الذي أُريق بغير حق وذنب، ونآمل من الله تعالى من خلال التعجيل في فرجه الشريف أن تصل آمنيات وتطلعات الشيعة الى التحقق على أرض الواقع ويلتئم ذلك الجرح الذي طالما آلم الجسد الشيعي في الصميم.

وعلى الرغم من إن هناك بعض الروايات الواردة تؤكد على إن الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف سيأخذ الثأر لسيد الشهداء عليه السلام تلك

المصيبة التي أحزنت قلوب الشيعة إلى يوم القيامة.

نسأل الباري عز وجل أن يجعل لنا من ظهور مولانا ومقتدانا بقية الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف فرجاً لحل وتمزيق وإنهاء جميع المصائب المحيطة بالعالم اليوم وخاصة العالم الإسلامي وعلى الأخص الشيعي منه، والتي ألمت باصحاب الإمام الحسين عليه السلام في البلدان الإسلامية من قتل وحبس وتعذيب.

مرة أخرى أقدم التعازي الى كل من اكتوى قلبه بمصيبة سيد الشهداء عليه السلام، بل في الواقع أعزي كل من ألقت مصيبة عاشوراء بظلالها عليه من الكائنات والكون من أبناء البشر، بل أعزي الأرض والسماء والماء والجن والإنس والملائكة، وأسأل الله للمعزين الأجر الجزيل.

ومن باب الوظيفة الشرعية أقدم شكري لكل من تجشم العناء في إقامة العزاء في كل بقاع العالم، كذلك أعزي كل من أقام ورجح إقامة الشعائر على مصالحه الشخصية على ما فيها من صعاب ومشاكل، وهو من المستحاب التي أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام كراراً ومراراً في أحاديثه.

وأنا أشكر وأقدر كل المعزين لأبي عبد الله الحسين عليه السلام

وأطلب لهم من الله تعالى حل مشكلاتهم وأن يعطيهم ما يطلبون وسعادة الدنيا والآخرة.

جذور الفاجعة

لم تكن المصائب التي دارت وصبت على سيد شباب أهل الجنة الحسين الشهيد عليه السلام واحدة أو إثنتين، حيث يمكن أن تمحى وتتلاشى من ذاكرة وقلوب المعزين، بل هي متغلغلة في صميم معتقداتنا وهي جزء من تكويننا وذو مساس في عمق شعورنا ومشاعرنا مطبوعة في سلوكنا الاجتماعي وبنيتنا الفكرية مساهمة في تجديد ثقافتنا الواعية والغنية، ومخطيء من يظن ان ثورة الحسين عليه السلام، هي جزء من التاريخ الغابر، وحدث أكل عليه الدهر وشرب، وان من العبث احياء ذكرى هذه الثورة كل عام، حيث سيظل مصابه وثورته ونهضته العظيمة مصباح يشع في قلوب المحبين الى يوم القيامة.

ولكن السؤال الذي حير الكثيرين: لماذا كل هذا الخلود، وما هو السر الكامن في بقاءالشعائر الحسينية قائمة على مدى العصور والدهور، ومن أين بدأت المصيبة وماهي جذورها وعواملها،

ولماذا قال الله تعالى عن الإمام الحسين عليه السلام: «**إن الله شاء أن يراك قتيلاً**»، ولماذا قال عن أهل بيته الطيبين الطاهرين: «**إن الله شاء أن يراهن سبايا**»؟.

لقد صرح الباري عز وجل في محكم كتابه في سور عديدة بأن الإنسان خُلق للبلاء والإمتحان والتمحيص وهذه سنّة إلهية جارية لايمكن تبديلها قد قدرها الله تعالى على بني البشر في هذه الدنيا، وبعبارة أخرى فلا يظن الإنسان بإن قول «**لا إله إلا الله**» و «**محمد رسول الله**» وإقامة الصلاة وإتيان فريضة الصيام والذهاب الى الحج قد أدى رسالته وعمله المكلف به وأن الباري عز وجل قد رضى بذلك فقط، وإنما ينبغي عليه أن يتجاوز مرحلة الإمتحان والاختبار والتمحيص والبلاء بنجاح وتفوق، ومن تلك الإمتحانات والاختبارات هي قبول ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، فقد ورد في الحديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال للإمام علي عليه السلام: «**ياعلي أنت محك هذه الأمة**»[1].

١. راجع بحار الأنوار، ج٤٢، ص١٣٣، باب١٢٢، ح١٥. عن الاختصاص، وفيه: (البدر التمام، محك المؤمنين، ووارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين).

ولاشك فإن هذا هو الإمتحان الأول والأهم في حياة المسلمين من بعد شهادة رسول الله ﷺ والتحاقه بالرفيق الأعلى، وكما حدثنا التاريخ أن كثيراً من أولئك الذين كانوا يقيمون فرايض الله تعالى من صلاة وصيام وحج وزكاة وجهاد كمسلمين ملتزمين حسب الظاهر قد فشلوا في ذلك المحك والإختبار، فكانت عاقبتهم ومأواهم جهنم وساءت مصيرا، إذ لم تمض على بيعتهم لأميرالمؤمنين عليه السلام سوى أشهر معدودة حتى نكثوها ووضعوها خلف ظهورهم، وبايعوا أناس لم يكونوا أهلاً لها، وهنا من الطبيعي القول بإن الله تبارك وتعالى لن يهمل من تجاوز على بيعته التي بايعها للإمام عليه السلام وقلب الموازين الإلهية بل سيحاسبهم حساب عسيراً.

لقد وضع الباري عز وجل مفاتيح الجنان والعبور على الصراط بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام وجعله قسيم النار والجنة، ومع كل هذه العظمة والمنزلة السامية فقد تجاسر واعتدى عليه بعض من سمى نفسه صاحب رسول الله ﷺ وأخرجه من داره حافي القدمين حاسر الرأس ـ نعوذ بالله ـ ملبباً بحمائل سيفه وهو صابر محتسب قد وضعوا السيف على رقبته وهددوه بالقتل، فهل

علمتم أم قرأتم في التاريخ مثل كل هذه الوقاحة وهذا التجاسر؟! والعجب في الأمر بإن نفس المجوس والنصارى والمشركين لم يُقدموا على إرتكاب هذه الجريمة الشنعاء التي يندى لها جبين كل غيور وشريف، بل قام بها هؤلاء المحسوبين على الإسلام ومن بايعه يوم غدير خم.

وقد ترتب على هذه الفاجعة الكبرى آثاراً بالغة الخطورة تسببت في كم لايحصى من المصائب والويلات التي لحقت بأمة النبي الأكرم ﷺ، فتعدي هؤلاء القوم هو جسارة عظيمة لايجرء أحد على فعلها إلا من تشبعت ذاته بالعداء والحقد والبغض للعترة الطاهرة عليهم السلام كان منشداً إلى المال والمتاع.

وأضحت هذه الجسارة والوقاحة والحماقة التي أُرتكبت بحق أمير المؤمنين علي عليه السلام مقدمة وطريق سالك ومعبد لاعتداءات وحماقات ووقاحات أخرى، فجاءت حادثة الهجوم على دار الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام ومن ثم دس السم لمولانا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وبعد ذلك بفترة وقعت حادثة الطف الإليمة.

إن عاشوراء قدوة نموذجية ومصداق منقطع النظير من التضحية

والمحبة والوفاءلم تشهده عين بشر قبل ذلك الزمان ولا من بعده أبداً، ليس فقط في تاريخ البشرية بل قبل الخلق بل حتى قبل خلق السماوات والأرض.

حكومة معاوية فتنة أكبر من المكان والزمان

كتب الإمام الحسين عليه السلام رسالة الى معاوية بعد إستشهاد أخيه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام تحتوي على موضوعات نورانية، وقد أوصيت في مناسبات عديدة أهل العلم والمحققين لاسيما الشباب ذوو القدرة على المطالعة والتحقيق، بأن يطالعوا ويحققوا في هذه الرسالة التي يمكن أن يستخرج منها موضوعات ومطالب تملأ المجلدات، فهي تعطي الشباب القدرة الفاعلية والقدرة على الإجابة عن كثير من الأسئلة وتوضيح الكثير من الإبهامات في خصوص حركة الإمام الحسين عليه السلام وأحداث عاشوراء.

ونبحث هنا جملة واحدة من تلك الرسالة حيث تظهر جلياً العلة الكامنة من وراء وقوع واقعة عاشوراء الأليمة والفجيعة.

فلم يمض سوى نصف قرن على استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وأحاديثه الشريفة التي تجلل وتعظم وتمجد الإمام الحسين عليه السلام

ترن في أسماع الصحابة، روايات من قبيل: «**إن الحسين بن علي عليهما السلام في السماء أكبر منه في الأرض وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله مصباح هدى وسفينة نجاة**»[1].

فعلى الرغم من وجود التوصيات والأحاديث القدسية الواردة عن الله تبارك وتعالى وملائكته المعززة لمكانته وعدد كبير من الأحاديث التي قالها النبي صلى الله عليه وآله في حقه ضاعت ولم تصلنا، وبحجة أنه خرج من الإسلام بخروجه على خليفة زمانه قتلوه وأسروا عياله، فهل لهذا الحدث نظير في التاريخ، ومن المؤسف أن الذي ارتكب كل تلك الجنايات هم المسلمون الملتزمون بالإسلام المحافظين على أحكامه.

أما الجملة التي اخترناها من رسالة الإمام عليه السلام إلى معاوية فهي: «**إني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها**»[2]، ومراد الإمام من هذه الجملة: إن معاوية كان أسوأ فتنة وبؤس للأمة الإسلامية، فتنة أكبر وأعظم درجة على الناس من حدود حكومته وعصر امارته، وبعبارة أخرى: لا توجد مصيبة على الأمة الإسلامية أسوأ من تولي معاوية الحكومة الإسلامية.

---

١. بحار الأنوار، ج٣٦، ص٢٠٥.
٢. مكاتيب الأئمة عليهم السلام، ج٣، ص٩٦.

لقد كان حكم معاوية هو بداية المصائب للإسلام، ومن ثم بعده ولده يزيد، وبعد ذلك جاء بني امية وبني مروان الواحد تلو الآخر زادوا ظلم الناس وضلالهم وهو مستمر إلى يومنا هذا، ونتيجة هذه السياسة السيئة اليوم شاع في كثير من البلدان الإسلامية، بل وحتى بين الشيعة القتل والتفجير والإحراق، والذين يفعلون ذلك يعرفون من هم ضحاياهم، ومع ذلك يرتكبون المجازر الضخمة بحق الأبرياء، وهذا هو المنطق الذي يحكم دينهم ومعتقداتهم، فهل هذا منطق رسول الله ﷺ الذي نشر شريعته على أساسه؟

النبي ﷺ لأجل درهمين بقيا لديه من بيت المال لم يجد لهما مستحق ليعطيه إياهما، وقد حزن النبي ﷺ حزناً شديداً لذلك، لدرجة أن أحداً من أصحابه لم يجرأ على الكلام معه، وفي اليوم التالي لما رأوه فرحاً قالوا له: لقد رأيناك بالأمس حزيناً فما السبب الذي أحزنك؟ قال ﷺ: درهمان من بيت المال بقيا عندي ولم أجد أحداً أعطيهما إياه.

بالتأكيد فإن النبي ﷺ ليس مثلنا يعلم أنه لايموت تلك الليلة، ولكن يريد أن يعلم الإنسان الطريقة الصحيحة للحكم، والآن هل

يستحق معاوية السلطة والحكم؟ ذلك الشخص الذي بأيام قليلة بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام أمر بقطع رؤوس ثلاثين ألف من الرجال والنساء صغاراً وكباراً من أهل الصلاة والصيام من المسلمين، وأحرق بعضهم، ألا يستدعي ذلك السعي للخلاص من معاوية ومعتنقي نهجه؟ ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان في العالم اليوم شيئاً من الحرية، فمتى يأتي اليوم الذي يتخلص المسلمون في من ذل ومعانات الظالمين؟ فإذا كان المسلمون اليوم مع كل هذه الإمكانات لايستطيعون تحقيق ذلك إذا متى يستطيعون؟ وإذا كان اليوم الحسينيون وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام سواء كان في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية مع مايملكون من إمكانات كالراديو والتلفزيون ووسائل إعلام أخرى مثل القنوات الفضائية لا يستطيعون محو آثار وتبعات حكام الفسق والفجور من امثال معاوية إذن متى يتحقق ذلك الآمل على أرض الواقع؟.

إن حجم الإعلام الشيعي يكاد لا يُذكر، في مستوى التأثير وأعداد المتلقين في العالم، وغير لائق بمقام أهل البيت عليهم السلام.

وينبغي أن تصل هذه الحقائق الى مسامع الناس؛ بإعتبار إن إيصالها يجعل الكثير منهم يتغير ويصل الى مكامن الحقيقة.

إنكم جميعاً سواء كنتم أغنياء أو فقراء طلاب وجامعيين وطلاب العلوم الدينية وكسبة وتجار ورجال ونساء وجميع من يسمع كلامي، لديكم إمكانيات موجودة بالقوة في داخل كل واحد منكم فإن إستطعتم ان تجيروها وتصلون بها الى مقام الفعل والعمل فحينئذ ستتغير معالم العالم ويعيش في أحسن حالاته، بالطبع فإن ذلك الأمر يتطلب الجهد الجهيد والسعي الحثيث وقد ورد في هذا المعنى روايات كثيرة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام وكما يعرف الجميع فإن الوصول الى الأهداف المنشودة لايخلو من وجود الصعاب والمشاكل الجمة.

أبعاد الفاجعة

لقد تحمل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الميامين الذين استشهدوا في ركبه مصائب يوم عاشوراء، وتحملت النساء والأطفال الذين كانوا في الركب الحسيني معانات الأسر وشروها بأنفسهم ولم يظهر منهم أي تعامل وكلام يدل على الغضب والشكوى على الرغم من عظمة وهول ماجرى عليهم.

ومع الأسف الشديد فإن تلك الجريمة النكراء حصلت بإسم

الإسلام والمسلمين ومن أتباع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ولم تمر بضعة سنين من إستشهاده حتى أقدم هؤلاء على تلطيخ أيديهم بدم ولده وإرتكاب كل تلك الجرائم بحقه مع إنه قد ذكر منزلة ومكانة وعظمة أهل بيته الطيبين الطاهرين لأصحابه مرات ومرات، ومن جملة تلك الأحاديث حديث الثقلين ذلك الحديث المعروف والصحيح والمتفق عليه من كلا الفريقين، حيث قال صلى الله عليه وآله فيه: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً**»[1] ومع وجود هذا الحديث وامثاله من الأحاديث الصحيحة الواردة عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في خصوص عظمة وعلو سيد الشهداء عليه السلام والتي لم تخف على أحد إذن لماذا قام القوم بكل تلك القساوة والجفاء بحقه وحق أهل بيته؟

لقد أوضح الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في حديث له هذه الحقيقة بأحسن وجه حيث قال: «**والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا**»[2]،

---

١. غاية المرام، ج٢، ص٣٢٠.
٢. بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٤٨.

بمعنى إنهم قاموا بإرتكاب أقصى درجات ومراتب الظلم والوحشية بحق أهل بيت النبوة والعصمة عليهم السلام.

قلوب محزونة وأفواه مكممة

إن في عاشوراء لم تبق مصيبة إلا وأنزلت بأهل بيت الوحي، ولكن نقول بضرس قاطع بإن هناك أمرين لم يجريا في عاشوراء على الأسرى والسبايا الذين تكسرت قلوبهم، بالطبع فإن ذلك يعود الى الإعجاز الرباني وكذلك نتيجة دعاء نفس الإمام الحسين عليه السلام واحد من الأمرين هو عدم تعرض أحد من هؤلاء الإنجاس والأرجاس إلى نساء سيد الشهداء عليه السلام وبقية النساء والأطفال، وهو بالتأكيد معجزة إلهية فقد إقتضت المشيئة الإلهية بإن يقتل الإمام عليه السلام بهذه الطريقة الفجيعة والمؤلمة ولكن لايستطيع أحد منهم أن يرفع يديه والتعدي على حرمه وبناته وهو بلا ادنى شك معجزة إلهية حدثت في تلك الواقعة.

واما الأمر الثاني هو إن موكب السبايا والأسرى لم يقتصر على السيدة زينب الكبرى عليها السلام وأم كلثوم والرباب وسائر نساء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، بل كان من بينهم نساء واطفال لأصحابة

الميامين، ومع هذا لم يحدثنا التاريخ بإن أحداً منهم قد اشتكى مما جرى عليه أو تذمر من المصائب والمحن التي تعرض لها، بل استمرت معهم السكينة وتجذر فيهم الاطمئنان حتى بعد الرجوع الى المدينة والعيش وسط أهليهم، وسوف يظل التاريخ يذكر هذا بحروف من نور ويمجد كل تلك المعرفة والإيمان والتسليم المطلق للقدر الإلهي، فلن تكن تلك النسوة جميعاً من بنات أمير المؤمنين وولده الإمام الحسين عليهما السلام.

ومن هنا فإن موقفهن هذا يجب أن يمجد ويخلد لما فيه من الزخم العطائي مالايمكن تثمينه، فلم يتفوهن بكلمة واحدة ويشتكين حالة العطش في ذلك المكان أو الآذى في ذلك الموقف، فقد صبرن على كل شيء وحمدن الله تعالى في كل الأحوال، فلوكان أهل هذه القافلة غير أهل بيت النبوة ومن سار في ركبهم لانهارت وانفرط عقدها، لعظيم المحن التي انهمرت عليها، غير أنّ هذه الثلّة المؤمنة صمدت أمام المحن.

فقد ورد عن لسان الإمام زين العابدين عليه السلام إنه قال: مِلْتُ على بعير هزيل بغير وطاء، ورأس الحسين عليه السلام على علم، ونسوتنا خلفي على بغال، والحرس خلفنا وحولنا بالرماح، إن دمعت من

أحدنا عين قرع رأسه بالرمح، حتّى دخلنا دمشق صاح صائح: يا أهل الشام، هؤلاء سبايا أهل البيت عليهم السلام، فقد منعت القافلة من البكاء والنحيب للتخفيف عن وطاة المصاب فما إن بكى واحد من تلك القافلة حتى جاء إليه الحرس ليهدده فالتجأوا إلى الليل ليكون لهم سكن، فيذرفون فيه الدموع من دون علم أحد من هؤلاء الأرجاس، فأي جنس من البشر كانوا هؤلاء وكيف يمكن أن يطلق عليهم اسم إنسان، حيث إن الذئاب الكاسرة التي تعيش في الفلوات هي أشرف وأطهر منهم.

إجحاف الإعلام العالمي وعدم إنصافه

اليوم عزاء الإمام الحسين عليه السلام أخذ يتشر وتتسع رقعته في كل بقاع العالم، ولكن مع ذلك فهو قليل ويجب السعي لانتشاره بشكل أوسع، كذلك السعي لعدم حرمان أي مدينة وقرية منه، ولابد أن ترتفع رايته في جميع المدن والقرى أينما تقع على هذه الكرة الأرضية وإيجاد التنسيق اللازم مع كل المعزين للقيام بالشعائر الحسينية المقدسة وإحيائها بكل أشكالها وصورها.

إننا نشاهد اليوم وجود الاف من محطات الراديو والتلفزيون في

العالم، وأما عدد القنوات الفضائية فحدث قرابة العشرة آلاف قناة، وقد تابعت كما أخبرني الأخوة المختصين بهذه القنوات، إلا أنها مع كثرتها لا تعرض الأخبار المتعلقة بإقامة الماتم عزاء الإمام الحسين عليه السلام، ولاشك فإن إيران والعراق ليس وحدهما من يقام فيهما العزاء وتخرج الأمواج البشرية الهائلة لإحيائه، وإنما هناك الكثير منه يقام في مختلف اصقاع الأرض ويشترك فيه العديد من الناس، ومع ذلك فإن تلك القنوات تمتنع عن عرض خبر قصير عن هذه المراسم الإنسانية المهمة والعظيمة، ولكن من جهة أخرى تراها تسلط الأضواء بصورة كبيرة وتتسابق على نقل حادثة صغيرة تقع في إحدى الجزر التي لايعرف أحد إسمها وفي اي مكان تقع، بيد إن الامر مختلف في القضية الحسينية وشعائرها المقدسة فكل من تابع من المعنيين فإنه لم يشاهد أي خبر يرتبط بالمراسم التي تُقام في يوم عاشوراء وبالتالي التعتيم عليها بشكل مستغرب.

وهذا مما يؤسف، ولكن ماهو الحل المناسب والآلية الناجعة لحث هؤلاء على الإهتمام والرصد؟ ومن تقع عليه مسؤولية هذا الموضوع المهم والحساس؟ ومن يتقبل مسؤولية المتابعة وحل

هذه المشكلة في العالم الذي يسوده نوع من الحرية والتطور في نقل الصورة والحدث؟ فإننا إذا لم نتمكن من طرح هذا الموضوع في عالمنا الحر هذا الوقت ونرفع راية الإعتراض لعدم تعامل تلك الوسائل الإعلامية بحياد مع أكبر مناسبة دينية فمتى وأين لنا القيام بذلك؟ ولاشك فإن مسؤولية الإعتراض بالنسبة الى التناقضات واللامبالاة التي تحدث في وسائل الإعلام وعملية الإهمال والإقصاء المتعمد والعدائي لها تقع على عاتقنا جميعاً.

وبناء على ذلك ينبغي لنا العمل سوياً لنوصل إعتراضنا واستنكارنا ورفضنا القاطع لتلك المنهجية المجحفة الى العالم أجمع والى من يتولى زمام الإشراف على الوسائل الإعلامية تلك والدول الداعمة لها، وبكل تأكيد فإن وظيفة ذلك تقع على كاهلنا جميعاً، وإلا فإن العدو وغير المسلمين لن يتحملوا وزر ذلك، فعلى سبيل المثال لا الحصر فقد استمعت الى محطة (بي بي سي) التي تبث برامجها من العاصمة البريطانية لندن في ليلة عاشوراء، وكما يعلم الجميع فإنها تسعى الى بث ما يحصل من كل صغيرة وكبيرة في العالم، ولكنها في ذلك اليوم لم تبث أي خبر وتنطق بكلمة واحدة تخص واقعة الطف الأليمة وإقامة مآتم

العزاء التي إجتاحت العالم، في الوقت الذي لم يقتصر إقامتها في الدول الإسلامية، مثل: إيران والعراق والتي يحضرها الملايين من الناس فحسب وإنما تجري حتى في مدن بريطانيا المختلفة من قبيل لندن حيث تقام فيها العشرات من المجالس بهذه المناسبة والفاجعة الأليمة وأيضاً نرى خروج مواكب العزاء وسنّة المشي والتوزيع والإطعام فيها، فمع كل ذلك تجاهلتها وغضت الطرف عنها.

سبب السكوت المطبق لوسائل الإعلام

وبطبيعة الحال فإننا إذا أردنا أن نشخص ونعرف السبب الحقيقي الكامن وراء هذه الظاهرة الغريبة التي تحدث في عالمنا اليوم في عملية الإتصالات والإعلام علينا العودة قليلاً إلى العقود الماضية، فقد تعرضت بريطانيا وطوال تاريخ تسلطها على العالم إلى صفعتين قويتين من الشيعة، ومن الطبيعي فإنها في هذه الحقبة الزمنية تريد الإنتقام لذهاب ماء وجهها والإستفادة من هذه الفرصة السانحة لتطيب جروحها القديمة، لقد كانت بريطانيا في الزمان القريب وبلحاظ القوة والهيمنة وليس بلحاظ عدد السكان

والوسعة الجغرافية أكبر وأعظم حكومة على وجه البسيطة، فقد كانت الصين والهند من الدول الخاضعة لسيطرتها ومن مستعمراتها حسب الإصطلاح المعمول به، وكان عدد سكان هاتين الدولتين وحدهما قد قدر في ذلك الوقت (مليار) نسمة، وعلى الرغم من كل هذه العظمة والهيبة والوسعة والقدرات والمستعمرات فقد تعرضت الى ضربة قوية من جانب المرحوم الميرزا الشيرازي قدس سره في قصة التنباك المعروفة، وكانت هذه الدولة العظمى قد أرسلت مايقارب ٤٠٠ ألف مستشاراً إلى إيران للعمل في مختلف المجالات حيث اشترى الكثير منهم الأراضي والعقارات وبدأ هؤلاء يزولون النشاطات والفعاليات التي تدر عليهم أرباح هائلة، ولكن ونتيجة هذه الفتوى التي كُتبت بسطر واحد أُجبر هؤلاء جميعاً على ترك بيوتهم ومؤسساتهم ومصالحهم، لقد كان الهدف من وراء تواجد هؤلاء في إيران هو استعمارها ثقافياً، ولكن تبددت أحلامهم وذهبت سدى بسبب فتوى ذلك المرجع الشيعي الكبير وإتباع الناس له.

وأما الصفعة الثانية التي تلقتها بريطانيا العظمى آنذاك فهي تعود إلى الأوضاع التي مرت على العراق ففي سنة ١٩٢٠ ميلادي

حدث إنقلاب في هذا البلد فأنزلت بريطانيا جيوشها فيه ودخلت أراضيه بالأسلحة الثقيلة والعتاد الكثير والقنابل الحديثة وأشعلت فتيلة الحرب ضد الشيعة، ولكن سرعان ما انهزمت في العراق شر هزيمة، ونتيجة هذا اتخذت بريطانيا في يومنا هذا سياسية الإنتقام لأجل تعويض مافاتها من هزائم وخيبات أمل، وفي الحقيقة فإن هذا الإنتقام الذي تعرضت له ليس من جانبنا، ولكن من جانب الإمام الحسين عليه السلام.

وبهذا الوصف والحال ماهي الآلية الناجعة التي يجب أن يتخذها حسينيّون العالم، ومتى يجدون الحلول التي تجعلهم يقفون مواقف صلبة وحاسمة أمام كل تلك المؤامرات التي تحاك ضدهم؟

ولاشك فإن بريطانيا في الوقت الحاضر تعاني من مشاكل جمة وفاقدة للقدرات اللازمة وتمر بأزمات عديدة على عكس ما كانت عليه في العقود الماضية، وهناك نقطة يجب الإشارة إليها وهي إن بريطانيا ليس وحدها غير متفائلة نوعاً بالنسبة إلى الإسلام والتشيع وترتعد فرائصها منه فإن هناك دول وبلدان غير إسلامية تقاسمها وتشاطرها نفس هذه العملية وإلا لماذا هذا الإعراض وعدم

الإكتراث بالنسبة إلى مأتم ومجالس الإمام الحسين عليه السلام التي عادة ما تخلو منها مدينة وقضاء وقرية في العالم.

إن الوظيفة الدينية تحتم علينا جميعاً فرداً فرداً ومن خلال إعمال سياسية الضغط الدولي وممارسة الإعلام الفاعل والقوي وعملية التبليغ وإيصال صوت الحق، صهر الأمة في ممارسة واحدة والسعي لغايات واحدة، وهي جعل القضية الحسينية وشعائرها المقدسة أمراً عالمياً مما يجعل بريطانيا وسائر الدول والبلدان التي تقف معها صفاً واحداً مجبورة على التطرق والإهتمام بعزاء الإمام عليه السلام في إعلامها وعدم تجاهل الموضوع وذلك حفاظاً على مصالحها المشتركة.

وبكل تأكيد فإن هذه المشكلة لها حلّ ولاتحتاج إلى عناء كبير، وقد مضى وولى زمان الإختناق والسجن والتعذيب والإعدام حيث أدرك العالم المتحضر أخطائه الساحقة وأخذ يعمل على إستيعابها، ونتيجة ذلك فإن الآلية والسبيل العملي لحل المشكلة المذكورة هي الضغط الإعلامي والتبليغ الواسع، والكلمة والكتابة الفاعلة هما من أعمدة ذلك.

ومن هذا المنطلق فعلى الحسينين الغيارى متابعة ذلك بكل

موضوعية وعدم تضيع الفرص المتاحة، كما ينبغي عدم نسيان هذه النقطة، وهي: أن عزاء ومجالس ومأتم الإمام الحسين عليه السلام لا تقتصر على إيران والعراق وبعض الدول والبلدان التي يتواجد فيها الشيعة، ففي الهند مثلاً أعلن أن يوم العاشر من محرم الحرام عطلة رسمية، ولكن نرى الكثير من الدول والبلدان الإسلامية لا تبالي بهذه المناسبة العظيمة وتمر عليها مرور الكرام، وللأسف الشديد فمن يتحمل هذه المسؤولية الجسيمة والثقيلة، وماهي الوظيفة التي يجب العمل بها؟

إن وجوب وضرورة إيجاد الحلول لهذه المشكلة والترويج للشعائر الحسينية المقدسة ليس وحدي من يقول بها، حيث إن الكثير من المراجع والفقهاء العظام قد أشاروا ومنذ القديم في كتبهم ومؤلفاته إلى ذلك الأمر والحث عليه بكل الأساليب والطرق المتاحة.

قيادة غير كفوءة للعالم

لايخفى على أحد مسألة: أهمية وضرورة ترويج ونشر الشعائر الحسينية المقدسة، ولكن قيادة العالم والإتجاهات المسيطرة عليه في عالمنا اليوم هو الموضوع الذي لابد من التآمل والتفكير به

بجدية، حيث ينبغي على المحققين والباحثين والمختصين في أمر الشعائر الحسينية الأخذ به بنظر الإعتبار وإعطائه أولوية خاصة لدراسة ومعرفة نقاط القوة والضعف فيها.

لقد عانى العالم في القرن السابق الويل والثبور من تجربة الحكومات الشيوعية المرة، إذ كانت مبادئها وقيمها هي المهيمنة والمسيطرة، وقد ترسخت وبسطت نفوذها في الكثير من الدول والبلدان الشرقية وبعض من الدول الغربية، فلم يكن للدين ولاسيما الشعائر الدينية الحسينية أي مكانة تذكر في تلك البلدان، فقد عارضت أغلبها إقامة الشعائر الحسينية وقاطعتها وحاربتها بشكل أو بأخر، وعلى أي حال فإننا يجب أن نأخذ الدروس والعبر من تلك التجارب بغية العبور إلى مرحلة جديدة.

ومن الملاحظ فقد وقع العالم اليوم وبعد سقوط وإنحلال المعسكر الشرقي تحت هيمنة وسيطرة وقبضة المعسكر الغربي وخضع لأوامره ونواهيه من الناحية الثقافية والإقتصادية والعسكرية، فنرى اليوم بأن أغلب الدول والبلدان الإسلامية تأخذ أوامرها وتتبع هذا المعسكر وليس لها القدرة على إتخاذ القرار المناسب، وبعبارة أكثر دقة فإن العالم اليوم بيد المعسكر الغربي،

بالطبع فإن المعسكر الشرقي بقى محافظاً على قدراته ولكن لايصل إلى قدرات ومقدرات نظيره الغربي.

ولاشك ولاريب فإن المعسكر الغربي والشرقي معاً يفقدان كل مقومات توفير السعادة والكمال الإنساني المنشود ـ والذي يتحقق في ظل التعاليم الإلهية وتعاليم أهل البيت عليهم السلام ـ وليس لهما القدرة والإمكانية لذلك، وعلى هذا الاساس فلن تجد مكاناً أو بقعة في العالم تعيش السعادة المطلقة والكرامة والعيش الرغيد، وهو موضوع سرى أيضاً إلى دولنا وبلدانا الإسلامية مع كونها تدعي الإسلام والتقيد به حسب الظاهر العام، وبالطبع فإن الإحصائيات التي تنتشر في الدول الغربية وبعض من الدول الإسلامية من حيث معدل الطلاق وعمليات الإنتحار هو دليل جلي وواضح على ماتمر به هذه الدول والبلدان من أزمات خانقة وفقدان بوارق الأمل بالعيش الكريم، وهناك أدلة كثيرة عن وجود الضعف في إدارة العالم بيد العالم الغربي وعدم صلاحية أساليبه وآلياته المتبعه التي قدمها والتي من جملتها: الإحصائيات اليومية في العالم عن موت العديد من الناس بسبب المجاعة والفقر وعدد السجناء من دون سبب ودليل، والتعذيب والتشريد ومصادرة

الأموال وكذلك وجود الكثير من المشاكل والمعضلات التي يعاني منها عالمنا المعاصر.

حق الأعداء في معرفة الحقيقة

إن الرسالة المهمة التي تقع على كاهلنا اليوم هي ترويج الأهداف والمبادئ التي من أجلها ضحى الإمام الحسين عليه السلام بكل ما يملك من غالي ونفيس، والرقي بالثقافة الحسينية الغنية إلى أرقى المستويات، وقد حان الوقت إلى أن يجرب العالم هذه الثقافة والتي هي نفسها ثقافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام وثقافة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ولاشك فإن من ضروريات ولوازم هذا الأمر هو إيصال تلك الثقافة بالصورة الصحيحة، وكما أشارنا فأن مسؤوليتنا هي إحياء وإقامة المراسم العاشورائية في كل مكان وزمان.

إن من الطبيعي القول بإن الدول الغربية لها إلمام ومعرفة إلى حدّ ما بتلك المراسم، ولكن هذا لا يكفي فلابد من تعميمها إلى جميع المناطق الممكنة وبالتالي إيجاد صداً مدوياً ومهيب لها، وبالطبع فإن العمل في هذا السياق والمنحى له مشاكله ومعوقاته

الخاصة وليس مزروعاً بالورد والريحان، ولهذا علينا أن نتحمل في طريق الإمام الحسين عليه السلام كل الصدمات والصعوبات والعقبات ونشتريها بالأنفس والأرواح، وستكون النتيجة والمحصلة النهائية من ذلك هي تغير العالم وإتجاه صوب المعايير المتعالية والعيش الكريم التي رسمها وحدد إطرها المعصومين عليهم السلام.

لقد جاء الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة وذلك بدعوة من أهلها ولم يكن هو في الحقيقة من بدأ هذه الحادثة والواقعة الأليمة، حيث أرسل ابن زياد ألف فارس إلى الإمام عليه السلام ليقطعوا عنه الطريق ومحاصرته، ومن هنا فإن الذي دق طبول الحرب هؤلاء فساعة بعد أخرى ضيقوا الخناق على الإمام وأهل بيته وأصحابه في صحراء كربلاء ومنعوه حتى من العودة الى المدينة أو تغير حركته الى منطقة غير كربلاء، وكانت أعداد الأعداء يزداد فتزداد معهم حلقة المحاصرة، فلم يسمع منهم إلا صليل السيوف وبريق الأسنة.

إني أدعو الشباب المؤمن والواعي دوماً وأحثهم على دراسة التاريخ الإسلامي دراسة معمقة ولاسيما البحث في الحوادث والوقائع التي جرت فيه مثل حادثة عاشوراء، فإن ذلك يزيد

قدراتهم على إدارة دفة التاريخ لصالح الخير والعطاء المستمر، وبالطبع فإن فيها الكثير من الحقائق التي استدل الستار عليها وتحتاج إلى باحث ومحقق من ذوي الخبرة والإلمام لكشفها وإماطة اللثام عنها وعرضها بالشكل الحقيقي والواقعي.

واحدة من المواضيع التي يجب البحث فيها في هذا المضمار هو الحديث المفصح عن معنى الخير والصلاح والحكمة الذي تحدث به الإمام سيد الشهداء عليه السلام إلى أعدائه، فقد كان للإمام حديثاً مفصلاً مع جيش عمر بن سعد، وبما أن قيادة جيش الأعداء تعلم علم اليقين بأن حديث الإمام عليه السلام سوف يقلب الموازين ويكشف الحقائق لجنودهم وبالتالي سيلتفون حول الإمام ويكونون في صفه لهذا أمروا بدق الطبول واستعمال الصفير والتصفيق لكي تعم الفوضى وبالنتيجة عدم التوجه والإستماع الى ما يقوله الإمام عليه السلام، وعلى الرغم من ذلك فإن هناك عدد منهم عرف الحق والحقيقة فتبعها بعد حديث الإمام ومخاطبته للجيش، منهم: الحر بن يزيد الرياحي رضي الله عنه الذي علم بخطأ موقفه فاتجه بشجاعة صوب معسكر الإمام عليه السلام والإلتحاق بركبه ومن ثم الاستشهاد بين يديه.

وكان الإمام يتحدث بصوت رفيع، تقول الرواية: «**ونادى بصوت عال يسمعه جلّهم: أيّها النّاس اسمعوا قَولي، ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما هو حقّ لكم عليَّ**» اليس من العجب ومع كل تلك الأوضاع المتأزمة ومع هذا الظلم والتعدي والتطوال بحق الإمام عليه السلام ومنعه من أبسط الحقوق فإنه يقول لهم لديكم حق عليّ ومن الضروري أن أعرفكم به، ولاشك فإن مثل هذا الخلق الرفيع وهذا اللون من التربية والسلوك الإنساني قله نظيره ومثيله في العالم حيث يتعامل شخص بالعدالة مع الد أعدائه وتقديم النصح إليهم.

إن الحق الذي يراه سيد الشهداء عليه السلام تجاه أعدائه هو إطلاعهم على الحق ومحاولة إنقاذهم من الباطل والخسران، ونجد إنه أراد ومن خلال ذلك الحديث أن لايدع لهم مجال للحجج والأعذار الواهية إضافة الى إيصالهم الى حقيقة العمل المقدمون عليه حتى لا يقول أحداً منهم يوم القيامة كنت لااعلم بذلك ويفتش لنفسه عن العذر والحجة.

إننا حينما نجد أن الإمام المعصوم ـ والذي كان مظلوماً من قبل أعدائه ـ يرى أن من حقه على هؤلاء إيصالهم الى الحق والحقيقة

وإنقاذهم على ماهم فيه، ويعزو ذلك الى وظيفته التي يجب العمل بها، إذن وبطريق أولى فإن الوظيفة تحتم علينا أن نعرف الإنسانية مهما كان مشربها الفكري والعقدي بالشعائر الحسينية المقدسة والعمل بكل السبل والطرق المتاحة على نشرها وترويجها.

إن من حق الإنسانية الاستفادة من فيوضات وبركات وألطاف المآتم الحسينية، ومسؤولية ذلك تقع علينا حيث إننا مسؤولون أمام الله تبارك وتعالى جميعاً، فإذا وقفنا في يوم الحساب الذي ينادي كل واحد فيه وانفساه وسأل منّا لماذا لم تقولوا لهم الحق والحقيقة فلاشك حينئذ لا نملك الجواب الكافي والشافي وبالتالي سنكون مطئ الرؤوس وخجلين أمام الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام وليس لدينا مانقول.

وانطلاقاً من مبدأ القاصر والمقصر نقول: إنه حينما أقدم الأعداء وقاتلي الإمام الحسين عليه السلام على ذلك فإن كانت فعلتهم وجريمتهم النكراء التي إرتكبوها من دون علم ودراية فإنهم يعتبرون في عداد القاصرين عن معرفة الحق، وبكل تأكيد فإن الإنسانية لا تعلم في زماننا الحاضر بالكثير من حقائق الدين والمذهب لاسيما معرفتها بالقضية الحسينية وعاشوراء فهم قاصرون وعليه تكون وظيفتنا

ومسؤوليتنا هي إيصال الحقائق إليهم وإيضاح معالمها والأهداف التي كانت من ورائها.

بداية الفاجعة الأليمة

لقد بدأت معركة عاشوراء غير متكافئة بعد وقوف الجيشين احدهما امام الأخر، فمن جهة جيش عمر بن سعد المدجج بالسلاح والخيل والفراسان، وجهة ثانية جيش الإمام الحسين عليه السلام بعدده القليل نسبة لثلاثين، وكان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بتقواهم وإيمانهم ووفائهم بالعهد من النوادر الذين لم ير لهم الدهر من مثيل ونظير، فقد قال عنهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمّا مرّ بكربلاء: «**قتل فيها مائتا نبيّ ومائتا سبط كلّهم شهداء، ومناخ ركاب ومصارع عشاق شهداء، لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم**»[1].

وفي اليوم العاشر من المحرّم وقف شمر أمام معسكر الحسين عليه السلام، وبدأ يكيل السباب والشتم للإمام والعياذ بالله، فأراد مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فقال له الإمام عليه السلام: «**لا ترمه؛ فإنّي**

١. بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤١ و ص٢٩٥.

أكره أن أبدأهم بالقتال»[1]، وينبغي التأمل والتفكير بجدية بمقولة الإمامعليه السلام والتي تؤكد عدم رغبته بالبدأ بالقتال وإقناعهم بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة، ولكن في الحقيقة والواقع هم ومن خلال إغلاق الباب بوجه الإمام ومحاصرته هو ومن معه من أهل بيته وأصحابه قد فرضوا الحرب عليه، فهم من دق طبول الحرب وسعى إليها، ومع ذلك فإنهعليه السلام أبى أن يبدأهم الحرب والقتال.

ولاشك فإن هذا الموقف النبيل وحده والذي يعتبر قمة في المعرفة والحكمة والمحبة للسلم والسلام ووضاءة النفس وصفاء الروح، لكفيل وقادر على تغير العالم أجمع إذا وصلت آثاره وبصماته وإنعكاساته إلى البشرية، وبهذا نكون قد أقتربنا من الأهداف المرجوة.

ولم تمض فترة حتى رمى ابن سعدعليه اللعنة سهماً صوب معسكر الإمام الحسينعليه السلام فبدأ وطيس الحرب وأشتعل فتيلها، فلعنة الله عليه مع إن اللعنة على مثل هؤلاء المجرمين قليلة، ولاشك فإن البارئ عز وجل هو وحده من يحاسبهم على أفعالهم وجرائمهم المشينة ويدخلهم قعر جهنم وبئس المصير.

١. الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢، ص٩٦.

كنت في مقتبل العمر أذهب الى الكتاتيب وأقرأ كتاب أصول الدين، فقد جاء فيه أن الله تبارك وتعالى خلق الجنة والنار على أساس العدالة، نعم فقد خلق النار من أجل التعادل وإيجاد الموازنة في منظومة الخلق الإلهي وعلى أساس عدالته فقد صرح في كتابه العزيز: «**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً**»[1].

إذن فإن الغاية والهدف الكامن من وراء خلق جهنم، هو: إقامة العدالة والتوازن في الخلق، حيث أن الجنة والنار هي التجسيد الطبيعي لمبدأ العدل، هذا العدل الذي يحتم ضرورة التفريق بين المحسن والمسيء في الجزاء، ولاسيما أننا نلاحظ أن الكثير من الناس يفلتون من المحاكمة العادلة في الدنيا، بل ربما يُحَاكم المظلوم ويُعفى عن الظالم، ما يحتم وجود محكمة عدل إلهية لا يضيع فيها حق مظلوم ولا يفلت من عقابها ظالم، فالله تعالى عادل وافعاله كلها مبنية على هذا الأساس.

لقد بدأ ابن سعد المعركة في يوم عاشوراء وذلك عندما رمى أول سهم على خيام الإمام الحسينعليه السلام فالتفت إلى أصحابه قائلاً: اشهدوا لى عند الأمير إني أول من رمى، وأقبلت السهام من القوم

١. سورة المدثر، الآية ٣١.

كأنها المطر فحينئذ توجه سيد الشهداء عليه السلام إلى أصحابه البررة فقال لهم: «هذه رسل القوم إليكم» وهذه الجملة نفسها أطلقها مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين والنهروان، حينما توجه إلى قتال الناكثين والقاسطين كانت سيرته أن لا يبدأ هؤلاء القتال، وعندما رموا أول سهم لهم كان يذكر هذه الجملة فيعرف أصحابه إن الحرب قد بدأت في هذه اللحظة، مع ما أن أمير المؤمنين عليه السلام كان الخليفة الشرعي إذ بايعه المسلمون، ومع أنهم نكثوا البيعة وجيشوا الجيوش وحشدوها ضده، إلا أنه لم يبدأ القتال ضد أحد، وكان لايسمح لجيشه أن يقاتل إلا من بعد أن يشهر العدو السيف ويعلن إيذاناً ببدايتها.

وهذه هي نفسها ثقافة ومنهج الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فحينما تحرك جيش المشركين من مكة وتوجه صوب المدينة، جاء النبي صلى الله عليه وآله إلى أطرافها واستقر هناك، وكان قد أمر أصحابه بعدم القتال إلا بعد أن يهجم الأعداء عليهم، فلما شن هؤلاء هجومهم أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قتالهم دفاعاً عن أنفسهم ومعتقداتهم، وينقل التاريخ بإنه كان يأكد على أصحابه دوماً على مسألة عدم البدء بالحرب والقتال ابتداء.

القدرات الكامنة في الشعائر الحسينية

كان المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أحد المراجع العظام توفي سنة (١٣٧٣ هـ)، وقد زرته عدّة مرات في مدينة النجف الأشرف ومن ثم في مدينة كربلاء المقدسة، كتب في أحد مؤلفاته القيمة يقول: «لقد قال لي أحد كبار علماء المسيح في بغداد: يامعشر المسلمين إنكم لا تعرفون كيف تستفيدون من الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، حيث إن المسيح لم تكن لديه الفضائل والمناقب التي حواها الحسين عليه السلام ولم تجر عليه المصائب التي جرت على إمامكم وليس له كل تلك التأثيرات والجواذب، فإنها إن كانت عندنا لبلّغنا له ولمبادئه وقيمه بشكل نجعل معها المسيحية هي الدين الحاكم على العالم، ولنصبنا له في كل شبر منه علماً وراية سوداء ونجمع الإنسانية حول مظلوميته التي لا مثيل لها، وندعوهم لاعتناق دينه ومذهبه والتمسك باهدافه»، فيالها من عظمة وقدسيه.

لقد مضى على هذه الحادثة أكثر من سبعين عاماً وأكثر من ستين عاماً على إنتقال المرحوم كاشف الغطاء إلى رحمة الله تعالى، ففي تلك الحقبة الزمنية التي عاش بها هذا الفقيه العالم لم

تكن هناك الحرية والانفتاح الذي نعيشه في هـذا اليـوم، ولـم يكـن الشيعة بهذه الأعـداد التـي هـم عليهـا الآن وتواجـدهم فـي أصـقاع العالم المترامي الأطراف، ولا يملكون وسـائل الإعـلام الحديثـة مـن قبيل القنوات الفضائية ومواقـع التواصـل الإجتمـاعي، وأيضـاً عـدم وجود الكثيـر مـن الإمكانيـات والفـرص التـي نشـهدها فـي وقتنـا الحاضر، فمع حصول هـذه الإمكانيـات المتـوفرة وتهيئـة الأرضـية والمناخ المناسـب لعمليـة التبليـغ لإيصـال صـوتنا إلـى كـل بقـاع المعمورة، فلمـاذا لا نحقـق هـذا الهـدف والغايـة المنشـودة ونرفـع الهمم إلى القمم في سبيل ذلك؟

ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا بأن هناك جهوداً عظيمـة قـد بُـذلت في هذا المضمار ويجـب تقـديرها وشـكرها، ولكـن مـع هـذا لا يمكـن إنكـار الحقيقـة المـرّة والقـول بأنهـا لـم تكـن بمسـتوى الطموح، ولا شك فإن القدرات والإمكانيات التـي يملكهـا الشـيعة في العالم، هي أكثر من ذلك بكثير، فإن إستطعنا من توظيفهـا فـي المسار الصحيح، فإنها سوف تعطي نتائجهـا وثمارهـا الطيبـة مـن دون أدنى شك.

ولن نكون قد أذعنا سراً إذا قلنا بإن هناك الكثيـر مـن الإمكانيـات

والقدرات ظلت مكبلة ولم تشق طريقهـا نحـو التطبيـق والإسـتفادة الكامنة والصحيحة منهـا، مـن جملتهـا: المنظومـة الماليـة الشـيعية، وشـريحة الشـاب المـؤمن والـواعي، والفضـلاء مـن طلبـة العلـوم الدينية، والنخب من طلبة الجامعـات والكليـات والمعاهـد، وكـذلك العديد من الأوضاع والشروط المطلوبـة، وهـا نحـن أمـام مسـؤولية كبيرة وهي توظيف كل تلـك الأمـور والقضـايا أكثـر مـن ذي قبـل وأخذها بنظر الإعتبار والجدية ووضعها على رأس إهتماماتنا.

وهنا نقطـة لابـد مـن الإشـارة لهـا، وهـي: عـدم تـأطير وحصـر الشعائر الحسينية المقدسة فـي عشـرة محـرم الحـرام، أو فـي شـهر محرم وصفر، وتبقى مسـاحات التفاعـل معهـا مقتصـرة علـى تلـك الحقبة الزمانية، بل يجب تعميمها لتشمل جميـع أيـام السـنة، وهـذا الأمر من شأنه أن يضاعف الجهـود وتكثيفهـا لتأسـيس الحسـينيات والقنوات الفضائية في كـل مكـان ورفـدها بكـل مقومـات النجـاح؛ بإعتبارها أماكن وقواعـد لإقامـة وتـرويج ونشـر الشـعائر الحسـينية المقدسة، ويجب في هـذا المسـير والطريـق أن تكـون لـدينا آفـاق واسعة ومنفتحة ونضوج فكري وحـوار موضـوعي ومـن هنـا كـان التأكيد والتركيز على تنمية وتطوير وزيادة الإمكانيات الموجودة.

والسؤال الذي يأتي في هذا الخصوص: لماذا لا نعمل على تأسيس آلاف القنوات الفضائية التي تتخصص وتتحدث عن مولانا الإمام الحسين عليه السلام وشعائره المقدسة؟ ولماذا لا نمتلك إلا النزر اليسير من محطات الراديو والتلفاز والتي بإمكانها أن تغطي معظم أنحاء العالم، إذ أن مالدينا لا يكفي لسد الحاجة الفكرية والعقائدية لمليارات من سكانه، فإن كان الدليل والسبب يرجع لعدم وجود الإمكانيات وارتفاع التكاليف في تأسيسها وديمومتها وإدارتها فهذا دليل غير ناهض، حيث إن هناك الكثير من الشيعة الذين فضل الله عليهم من حلال رزقه ولله الحمد، يملكون الأموال الطائلة، وكذلك يوجد العديد من الشباب الشيعي الذي لديه الخبرات العلمية والفنية والتقنية ويستطيعون إدارتها وتمشيتها بالشكل المطلوب.

ولا شك فإن هذا الأمر يمكن تحقيقه وتطبيقه على أرض الواقع بقليل من الهمة والسعي وبجدية وحرص أكبر، فهذا الطريق فيه من المشاكل والعقبات الكثيرة، ولكن يجب التضحية فيه بالاعتماد على الصبر والاستقامة المحمديتين والهمة والعدالة العلويتين والتدبير والتوكل والشجاعة الحسينية، وعون مولانا

صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ولاشك فإن الشيعة قد أخذوا دروس الشجاعة والإباء من مولاهم ومقتداهم أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام وكسروا جدار الخوف والرهبة، على الرغم من أن الكثير منهم قابعين في سجون الكثير من الدول ممن لا ذنب لهم الإ حبهم وتمسكهم بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام والسير على خطاه، وليس هناك إحصائية دقيقة عن أعداد هؤلاء المعتقلين، فمن هو المسؤول عن متابعتهم والعمل على إطلاق سراحهم؟ فهل هناك أحد غيرنا من يتحمل مسؤولية ذلك.

إذن علينا أن نشعر بعظمة المسؤولية الملقاة على عواتقنا تجاه أي مشكلة تحصل في زواية من زوايا العالم وإيجاد المؤهلات والمقومات اللازمة لمجاراتها وحلها بالصورة المناسبة التي تحفظ كرامتنا وعزتنا.

ونقول بيقين قاطع إن النجاح حليفنا ولكن مرهون بالأستقامة والصبر والمقاومة، وبطبيعة الحال فإن العمل الذي نقوم به اليوم لن نجني ثماره في الغد القريب، بل يحتاج إلى وقت طويل وعناء كبير، ومثال ذلك كمثال التاجر الذي يضع رأس ماله في السوق فإنه يحتاج إلى وقت وجهد لجني أرباح ذلك المال.

جانب من تاريخ العراق المأساوي

ليس بعيداً أن يواجه المرء الكثير من المعوقات في مجال التبليغ وإيصال رسالة الدين والمذهب، ففي العراق على سبيل المثال وكما يعي ويتذكر من في عمري أنه وقبل أن تتربع الشيوعية على مقاليد الحكم يعني قبل سنة ١٩٥٨ ميلادية كانت عملية بيع وشراء الأسحلة في هذا البلد مسموح به وكان يتواجد في أكثر المدن محلات تعرض الأسلحة الخفيفة وتعمل على تصليحها، وإني أتذكر أنه كان هناك محلاً في كربلاء المقدسة في المنطقة التي تسمى اليوم (بين الحرمين) يبيع تلك الأسحلة ويقبل كذلك تصليحها، وكان صاحبه سيد واسمه (إبراهيم) وكان لديه أخوين أحدهما يعمل خياطاً والأخر في مجال بيع وشراء الأثار، وبعد حدوث ثورة عبد الكريم قاسم وإمساكه زمام الحكم توسعت رقعة عمل الشيوعية وبسطت نفوذها على ربوع العراق، فكان العمل الأول الذي قامت به هو جمع الأسلحة من الناس ومنعت بيعها وشرائها، فقد كانت تؤمن بأن السلاح إذا وقع بيد الناس فإنه يتسبب في حصول حالة الاضطراب والبلبلة في البلاد ويؤدي بالنتيجة الى تزعزع أوضاعه وفقدان الأمن والأمان فيه، فكانت

وسائل الإعلام تتناقل يومياً أخباراً عن عدد القتلى والجرحى الذين راحوا ضحيت وجود هذه الأسلحة بين الناس، ولا يخفى إن صحة مثل هذه الأخبار هو محل تأمل وتفكير.

على أي حال، فقد استطاعت بهذه الحجة جمع الأسلحة التي كانت بيد الناس وحصرها في نطاق دائرة سيطرتها، وقد أقدمت في هذا السياق على حبس وتعذيب الكثير من الناس، حيث انعكست أصدائها في الكثير من الجرائد والصحف في ذلك الوقت التي يمكن الحصول عليها إذا بحث عنها.

وكانت واحدة من الأعمال الإجرامية التي قامت بها الشيوعية هي إعتقال كل شخص يتظاهر ويهتف ضدها بحجج وذرائع بعيدة عن الواقع والحقيقة، وكانت الحكومة تساندها وتدعمها في هذا الشأن.

وكانت إحدى الأدوات والآلات التي تستخدمها في عملية التعذيب ضد معارضيها هي ربط يد ورجل الشخص بالحبل ومن ثم ضربه ضرباً مبرحاً بالكمات والأرجل والحجارة حتى يفارق الحياة وقد أطلق على هذا النوع من التعذيب الوحشي «السحل» وقد ترددت في هذا الخصوص مقولة أشتهرت على

ألسن الناس وعُلقت في المحلات تقول: «ماكو مؤامرة إتصير والحبال موجودة».

كانت الحقبة الزمنية التي حكمت فيها الشيوعية العراق حقبة دموية وعصيبة للغاية فقد راح ضحيتها العديد من الأبرياء وسجن العديد من الناس، وحينما خرجوا من العراق إنتشرت قائمة بأسماء من أرادوا تطبيق عملية «السحل» عليهم وكان فيها أسماء خمسة عشر شخصية معروفة ومرموقة من بينهم المرحوم آية الله العظمى السيد محسن الحكيم والمرحوم والدي الميرزا مهدي الشيرازي عليهما السلام.

وقد كانت جريمتهما بأن الصحف في ذلك الوقت نقلت عنهما إنهما قالا: «الشيوعية كفر وإلحاد» وقد قرأت بنفسي تلك العبارة في الصحف آنذاك.

ولا شك فإن كبار السن من العراقيين يتذكرون جيداً بأنه تم في أحد المدن العراقية ـ أعتذر عن ذكر اسمها ـ تنفيذ عملية التعذيب «بالسحل» مما أدى إلى قتل الكثير منهم ومن ثم تعليقهم بسلاسل الجزارين وتقطيع أجسادهم قطعة قطعة.

وبالطبع فإن ارتكاب كل تلك الجرائم الوحشية يعود إلى

السيطرة على الأمة سيطرة فكرية ودينية والمراهنة على سحب عناصر القوة منها.

وظيفتنا صيانت الثقافة الإسلامية

فهل يا ترى إن هذا الأفعال والأعمال والمنهجيات تليق بالدول والبلدان الإسلامية وتتلائم مع الرسالة السماوية؟ وهل رُصدت في تاريخ وسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام، مثل تلك القساوة والفضاعة وعدم الرحمة؟ الجواب بكل تأكيد لا، فقد كان تاريخهما ناصعاً ومشرفاً يشد إليه كل باحث ومحقق يطلب الحق والحقيقة، ولكن ومع الأسف فإن تلك الأعمال والسلوكيات تنفذ في وقتنا الحاضر تحت لواء الإسلام وتحت راية كتب عليها «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» وفي النهاية تعود آثارها ومعطياتها على الإسلام والمسلمين وتشويه صورتهما في الأوساط العالمية.

ولا يشك فإنه لا يمكن بحال من الأحوال المرور على تلك الإنحرافات والظلم والجور مرور الكرام حيث إن كل مسلم واعي يحمل ضمير حي يتأذى ويتألم عند سماع أخبار هذه الجرائم

والفجائع الكبيرة، وكما أشرنا سابقاً فإن الحمل لا يحمله إلا أهله، وإن مواجهة مثل هذه الجرائم ومحاسبة من يقوم بها هي وظيفة الجميع من دون أي استثناء يُذكر، وهذا الموضوع لا يختص بالعلماء أو أصحاب الثروات والسلطة فقط، وإنما يشمل الفقير حيث بإمكانه جمع المال شيئاً فشيئاً، وأيضاً من لا يملك العلم والمعرفة الكافية فإنه قادر على توظيف القدر المتيسر في مكافحة ومواجهة هذه السلوكيات المنحرفة وبالتالي إيجاد موجة عارمة شاملة تشمل كل مكونات المجتمع وإنقاذ الإسلام من الصورة المشوه والضبابية التي صنعها هؤلاء، حيث تولدت بموازات ذلك حالة من عدم الرضى والغضب، وفي خضم ذلك لابد من إزالة كل علامات الاستفهام والإشكاليات التي ترسخت في أذهان الناس وذلك بواسطة الترويج الصحيح لمبادئ الإسلام الأصيل والقيم والأخلاق التي تمثلت وتجسدت بأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

تحمل المصائب في طريق شعائر الإمام الحسين عليه السلام

في الحقيقة إن تحمل المشاكل والصعاب هو واحد من الشروط المتزامنة لهذا العمل الجبار، فما المانع من أن يسجن

الشخص في طريق تحقق التطلعات والآمال الشيعية؟ وهل هناك شرف أسمى وأرفع من التعذيب في سبيل نصرة أهداف الإمام الحسين عليه السلام وإعلاء شعائره المقدسة؟

كنت في أحد الأيام جالساً في مجلس يحضره اثنان من العلماء الذين وصلوا فيما بعد إلى مقام المرجعية، وكان هاذان العالمان قد حبسا كل على حدّه من أجل عزاء الإمام الحسين عليه السلام فقد جرى بينهما حديث شيق في ذلك المجلس، إذ كان يقول أحدهما للأخر: حينما أخذوكم إلى السجن كنت حاضراً وقال الأخر: هل أغمضوا عينيك؟ قال: كلا، فرد عليه إذن أنا من ربح وفاز؛ لأنهم أغمضوا عيني.

نعم فإن مثل هذا الحديث والتنافس في التضحية والمشقة من أجل قضية الإمام الحسين عليه السلام قد ورد عن لسان الأئمة الأطهار عليهم السلام، فقد نقل عن مولانا الإمام جعفر الصادق عليه السلام عبارة مضمونها إنه قال: إن الله عز وجل سيعطي أجراً جزيلاً وثواباً عظيماً لمن تحمل المشقة والآذى في طريق جدي الحسين عليه السلام وورد في نفس الرواية قوله: «**الأجر بقدر المشقة**».

وحسب هذه الرواية الشريفة فإن تعرضتم للسجن والتعذيب

في سبيل إقامة وإحياء الشعائر الحسينية المقدسة فإن ذلك الأمر ومع صعوباته ومشقاته فإنه في عين الله تعالى وله من الأجر والثواب ما لا يستطيع أحد من البشر إحصائية، وسيكون من الفائزين حقاً يوم لا ينفع مال ولا بنون.

لقد التقيت بأحد الأشخاص الذين تعرضوا لعذاب شديد وقاسي جداً حيث حفروا قدماه بالآلة الثاقبة وقد أراني ذلك الموضع، وقد كانت نفس هذه الحالات وأشد منها جارية في زمان وجود الأئمة الأطهار عليهم السلام، ولكن لم نشاهد ونسمع ونقرأ في مكان ما بإن الأئمة الأطهار قد منعوا شيعتهم ومواليهم من زيارة جدهم سيد الشهداء عليه السلام أو إقامة الماتم والعزاء عليه بشرط عدم وجود الابتلاء والصعوبات، بل بالعكس فقد كانوا عليهم السلام يحثون الناس دوماً ومهما كانت الظروف والشروط على الزيارة وإقامة العزاء والبكاء والنحيب والدعاء لزوار جدهم بالأجر والثواب.

فقد جاء في كتاب الكافي الشريف رواية ينقلها مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: إن إحدى زوجات الإمام الحسين عليه السلام، وهي الرباب أم السيدة سكينة عليها السلام كما ورد في الرواية أنها وبعد استشهاد زوجها وواقعة كربلاء

الأليمة لم تبق إلا سنة واحدة ثم ماتت كمداً؛ لأنها لم تهدا ليلاً ولانهاراً من البكاء على الحسين عليه السلام ولم تستظل تحت سقف ففقدت حياتها في هذا الطريق، وكما قلنا فإن ناقل الرواية هو الإمام المعصوم عليه السلام، حيث إن كلامه وفعله وتقريره حجة، فكان يشاهد ذلك ولم يمنعها ويردعها من باب «**لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**»[1] وهذا الأمر فيه دلالة واضحة وجلية على صحة عمل السيدة الجليلة الرباب رضي الله عنها، والدليل الأخر لشرعية هذا العمل هو إن الإمام الحسين عليه السلام استثناء في عالم الوجود والإمكان، وهناك بعض القواعد الفقهية والشرعية لا تنطبق في خصوصه وإقامة شعائره المقدسة، ولا يمكن معها الحكم بصحة أو عدم صحة تلك المراسم والشعائر، وهناك روايات أخرى في هذا الجانب تؤيد هذا الإدعاء، ولكن نرى أن هذه الرواية الواردة عن لسان الإمامين السجاد والإمام الصادق عليهما السلام هي وحدها تأيد واضح وصريح على إقامة مثل تلك المراسم والتعازي مع وجود الأخطار، والموضوع الأجلى فيها هو ذكرها منقبة وفضيلة للسيدة الرباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام، وإعطاء شرعية وبصمة صواب

١. سورة البقرة، الآية ١٩٥.

على مثل هذه الشعائر التي من الممكن أن يصاب الشخص بها ويتآذى قليلاً، وهو أمر لا إشكال فيه قطعاً وسينال من يتحمل السجن والتعذيب والتشريد والعناء ومصادرة الأموال في طريق إقامته وإحيائه السعادة والفلاح والوجاهة وحب الناس، مع إني غير راضي قلباً أن يقع أحد من الموالين في تلك المطبات ويصاب بتلك المحن الصعبة والأحداث المرّة.

وقد لعن الله تبارك وتعالى مراراً وتكراراً كل من يحارب ويقف أمام عجلة وحركة سيد الشهداءعليه السلام ويعمل على تحقير وإهانة شعائره المقدسة، وسوف يُمنح من يشارك ويساهم ويدعم تلك الشعائر أجراً وثواباً ومنزلة يغبطها عليه الأخرون.

وحينما نغور ونتصفح صفحات التاريخ نرى أن هناك الكثير من الناس قد فصلت رؤوسهم من أجسادهم لأجل الإمام الحسينعليه السلام وهُدمت بيوتهم على رؤوسهم لأجل ذكر إسم الإمام الحسينعليه السلام وقيام جلاوزة حكام الجور والفساد بالصعود على جدران البيوت لإعتقال كل من له علاقة بالشعائر الحسينية، ولكن لا يوجد مورداً ودليلاً واحداً وارداً عن الإمام المعصوم يمنع من إحيائها وإقامتها بسبب حصول تلك الأضرار والمحن.

ولقد استمر عزاء سيد الشهداءعليه السلام طوال فترة إمامة الإمام السجادعليه السلام ومن بعده الأئمة المعصومينعليهم السلام ومن ثم في فترة الغيبة الصغرى وإلى يومنا هذا ومن ثم الى يوم يبعثون، وقد كان الأئمة الأطهار هم من يحثون الناس ويحفزونهم لزيارة جدهم الإمام الحسينعليه السلام وإقامة وإحياء عزائه ومأتمه الشريف.

مكانة ومنزلة الشعائر الحسينية المقدسة في الفقه الشيعي

لاريب إن فقهاءالشيعة والذين قضوا عمرهم الشريف والمبارك في تحصيل الفقه ودراسة التاريخ لم يتحدثوا ويقولوا يوماً بإن مراسم العزاء والمآتم وإقامة الشعائر في زمن الأئمة الأطهارعليهم السلام كانت لا نظير لها ومغايرة ولها صور غير التي نشاهدها في يومنا الحاضر، ففي هذا الحالة فإن إقامتها بأشكالها وصورها الفعلية في هذا الزمان هي بدعة، وهذه إحدى الإشكاليات المطروحة والتي تتداول على ألسن بعض العوام والجهلة فنقول في مقام الإجابة على ذلك: إنه لم يكن في زمان الأئمة الأطهارعليهم السلام ضريح للإمام الحسينعليه السلام ولم يكن هناك قبة وصحن مشيد في زمانهم، فهل يمكن أن تكون هذه الامور في زماننا الفعلي هي من سنخ البدعة!

فعلى هذا الأساس علينا أن نشكر الوهابية لما قاموا به من تهديم قبر الإمام الحسين عليه السلام في هجومهم الوحشي على مدينة كربلاء المقدسة أو فعلتهم الشنيعة في تخريب وتهديم قبور البقيع الغرقد فهي جميعها لم تكن موجودة في فترة الأئمة الأطهار عليهم السلام، والإكتفاء بدليل وحجة إنها لم تكن موجودة ومن ثم تشيدها وبنائها فيما بعد وعليه فإنها تعدّ بدعة، بالطبع فإن هذا الامر هو رؤية ساذجة ولا تنم عن ثقافة واعية ورصينة.

إن هذا الكلام ومع كونه له جنبه بعيدة كل البعد عن الصواب ودليله معروف وبديهي عند أهل الاختصاص، ولكن الإشارة إليه والرد عليه لا يخلو من فائدة تذكر.

لقد ورد في كتاب العروة الوثقى والذي يحظى بمكانة مهمة ومرموقة في المصادر الفقهية وبتأيد واسع من وجهة نظر الفقهاء إضافة إلى وجود حواشي علمية ومفيدة كتبها أكثر من مائة عالم وفقيه متبحر، عبارة قال فيها: «المشاهد كالمساجد» والمقصود من المشاهد هي الأضرحة المقدسة للأئمة الأطهار عليهم السلام، حيث إن أحكامها هي نفس أحكام المسجد وتجري عليها كل ما يجري على المساجد من أحكام وحتى السرداب الذي غاب فيه مولانا

الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف هو واحد من تلك المشاهد المقدسة وحكمه حكم المسجد لا فرق بينهما.

وبالطبع فليس هناك رواية تصرح وتقول: «المشاهد كالمساجد»؛ بإعتبار لم تكن المشاهد في زمن الأئمة الأطهار عليهم السلام بشكلها الحالي وهذه الفتوى الصادرة من جانب صاحب كتاب العروة الوثقى آية الله السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي تبين مدى الأهمية والحظوة الخاصة للشعائر عند الفقهاء الذين صرفوا عمرهم المبارك في التفكير والتدبر والتآمل في الآيات القرآنية الشريفة والروايات الكريمة.

ومن المؤكد فإن فقهائنا الأعلام يأخذون جانب الاحتياط وتوخي الدقة اللازمة في بيان فتواهم وعدم التسرع في هذا المضمار، وإن سرد القصة الآتية يوضح بشكل جلي طريقة وأسلوب عمل الفقهاء وأهمية الفتوى وهواجسهم في بيانها.

كان والدي قدس سره يقول: كان يحضر جلسة استفتاء وحلقة درس المرحوم آية الله الحاج حسين القمي قدس سره أكثر من عشرة فقهاء حيث إن عدداً منهم تولى مقام المرجعية فيما بعد، وكان من بين من يحضر تلك الحلقة أشخاص مثل آية الله الميلاني وآية الله

الشيخ كاظم الشيرازي ووالدي. وينقل الوالد المكرم لقد تم تشكيل جلسة في كل ليلة ولمدة ثلاثة أسابيع متوالية من قبل هؤلاء الفقهاء الأجلاء للبحث والدراسة في مسألة فقهية واحدة وبالطبع فإن الاستغراق في هذه المدة ووجود كل هؤلاء الفقهاء يعود لأهمية الحكم الشرعي وما يترتب عليه من آثار ونتائج على المكلفين وقد ورد في الرواية الشريفة «**المفتي على شفير جهنم**»[1]، والرواية صريحة في القول بأن المفتي إذا ارتكب خطئاً فإنه ينزلق في جهنم ومثله مثل ذلك الشخص الذي يقف على حافة وشفير جهنم، ومن هنا ينبغي الاحتياط الكامل، وفقهائنا يحتاطون بهذه الصورة والصعوبة في خصوص المسائل الشرعية.

أشكال وأنماط الشعائر الحسينية المقدسة

تعتبر المشاهد المقدسة للأئمة المعصومين عليهم السلام جزء لا يتجزء من الشعائر المقدسة؛ لكونها تعود لأهل البيت عليهم السلام وتتصل بهم وهي قاعدة كلية، فقبر الإمام الحسين عليه السلام وحرمه المقدس هو من الشعائر الحسينية، وكل شيء يقع ظاهره ضمن دائرة التقديس

١. بحار الأنوار، ج١٠١، ص٢٦٣.

والتجليل والتعظيم للإمام الحسين عليه السلام فهو جزء لا ينفك من شعائره المقدسة، فوضع التربة على العمامة والوجه من تلك الشعائر فيرفع لعيني الناظر أمارات واضحة وإشارات دالة على عمق الولاء والمحبة، وعادة لا يقدم الإنسان على فعل مثل ذلك في الكثير من المحن والمصائب التي يمر بها، فحينما يرتحل والده عن عالم الدنيا أو يدخل عليه سارق ويسرق كل ما لديه فإنه لا يفعل تلك الأعمال، ولكنه لأجل سيد الشهداء عليه السلام وعزائه المقدس ومواساته يُقدم على وضع التراب على رأسه ووجهه، فهل يا ترى لا يعدّ ذلك شعيرة مقدسة من شعائر الإمام الحسين عليه السلام وشكل من أشكالها؟

الشفاء بتربة الإمام الحسين عليه السلام وتربة معزيه

تعتبر قصة آية الله المرحوم البروجردي قدس سره في هذا السياق أشهر من نار على علم حيث إن السيد البروجردي وقبل أن يأتي إلى مدينة قم المقدسة كان يسكن في مدينة بروجرد ـ إحدى مدن إيران ـ وكان يعاني ألماً شديداً في عينيه، فراجع أطباء كثيرين خلال فترة طويلة لكن دون جدوى، حيث إنهم يئسوا من

علاجه، و قالوا: ليس هناك من علاج له، وفي إحدى أيام عشرة محرم الحرام، كان جالساً في بيته فيما المواكب الحسينية تدخل وتخرج من بيته لتعزية، وبينما كان جالساً ويعاني من شدة الألم في عينيه، خطر في باله مرة واحدة أن يأخذ قليلاً من التراب الذي يضعه المعزون على جباههم أو على ثيابهم دلالة على الحزن والعزاء، وبالفعل أخذ مقداراً قليلاً ووضعه على عينه، وإذا بالألم في نفس اللحظة تنخفض حدّته ثم بعد فترة بسيطة يزول نهائياً.

لقد سمعت هذه القصة من تلاميذ المرحوم آية الله البروجردي وقالوا إنه كان يقرأ القرآن إلى أواخر عمره المبارك والذي وصل الى ما يناهز ٨٨ سنة من دون الاستعانة بالنظارة الطبية، وهل بعد ذلك من يقول أن التربة ليست شعيرة مقدسة؟ ونقول جزماً بإن تربة عزاء الإمامعليه السلام هي واحدة من مظاهر الشعائر ووسيلة لتجليل وتعظيم عزائه وكما قلنا فكل شيء ينصب في خانة هذا الأمر ويوثق عرى الإرتباط به فهو شعيرة من الشعائر المقدسة.

وهناك العشرات بل المئات من الفقهاء العظام الذين أفتوا بجواز وضع التراب وإستعماله في عزاء الإمامعليه السلام والبعض الأخر منهم أفتى باستحباب ذلك وعدّة منهم بوجوبه ويعتقد هؤلاء إن إقامة

هذه الشعيرة المقدسة هو واجب كفائي فإن لم يقم بها أحد طوال السنّة فإن تركها حرام والقيام بها واجب، وهذا هو رأي بعض من الفقهاء وذكروه في كتبهم ومؤلفاتهم.

وهنا أنقل لكم أيضاً هذه القصة التي تؤكد عظمة وكرامة التربة الحسينية المقدسة يقول والدي المعظم: لقد أصبت في شبابي بمرض (العشو الليلي) حيث إن الشخص الذي يُصاب فيه لايستطيع الرؤية في الليل مهما كانت هناك إضاءة ومصابيح بينما يتمكن من الرؤية والتشخيص في النهار على ضوء أشعة الشمس، ولم ينفعه الكثير من الأدوية والمراجعات الطبية، وفي نهاية الأمر تناول مقداراً من تربة الإمام الحسينعليه السلام ووضع قليلاً منها على عينيه وبالفعل فقد شُفيه تماماً، لقد كنت أنا الشاهد على حدوث هذه المعجزة والكرامة.

لقد كانت منازلنا سابقاً لاتتوفر فيها الطاقة الكهربائية وخالية من وسائل التبريد كما هي عليه الآن، فكنا ننام في فصل الصيف على سطوح المنازل، وكان منزلنا يقع في الجنوب الغربي لضريح الإمام الحسينعليه السلام ويقع ضريح مولانا أبي الفضل العباسعليه السلام في شمال شرق ضريح الإمام الحسينعليه السلام ولايفصل منزلنا عن ضريح الإمام

الحسين سوى اربعمائة متر تقريباً، فعندما كنا نصعد الى السطح في الليل ومع إننا كنا في تلك الفترة في أوج الشباب والفتوة ولكن لايستطيع أي واحد منّا تشخيص الوقت ومشاهدة عقارب الساعة الموجودة على مرقد مولانا قمر العشيرة ابي الفضل العباس عليه السلام ولكن كان والدي ومع تقدم عمره الشريف وبُعد المسافة يشاهدها بوضوح تام وبنظر واحدة يشخص الوقت، وهذا الأمر هو من بركات التربة الحسينية المقدسة.

شبهات من في قلبه مرض

ومع كل تلك الكرامات والمعاجز التي تم نقلها حول تربة الإمام الحسين عليه السلام وشفاء أعداداً كبيراً من الموالين والمحبين بها، فإن هناك عدّة ومع شديد الأسف والتعجب الكبير يشكك في ذلك ويرفض قبولها والإذعان لها، فقبل مدة شكك شخص يعتبر نفسه عالماً بعبارة «طين قبر الحسين» وكان يقول أين هي تربة كربلاء من ذلك؟ وفي أي رواية ورد ذكر هكذا امر بخصوص تربة كربلاء؟ وطرح شبهات من هذا القبيل.

نقول أولاً: هل إن كل شيء ورد ذكره في الروايات الشريفة؟

وهل هناك روايات تتحدث مثلاً عن ضريح الإمام الحسين عليه السلام؟ وهل هناك شخص يجرء ويتطاول ويرى بإن ضريحه المبارك هو بدعة؟ يقيناً لايوجد مثل هذا الشخص يدعي بمثل هذا الإدعاء إلا إذا كان وهابياً ومشركاً أو مثل هذا الشخص الذي قرأ المواضيع التي تتعلق بالتربة في الروايات والتطرق الى طرح مثل هذه الأسئلة والإعتقاد بإن تربة كربلاء هي جزء من الطين العادي وكان يقول بإن الطين يعني مطلق الطين وهذا ليس لها صلة بطين القبر ولهذا لايمكن بحال من الأحوال الأستنباط من الروايات الرأي القائل بالشفاء بتربة كربلاء ومسألة قداستها وعظمتها.

نقول إنه حينما يتم الحديث عن التربة فإنه حديث ينطوي في مكنونه ومغزاه على الطين ايضاً وهذا امر بديهي ومعروف حيث قد ثبت بالتجربة مرات ومرات عظمة وكرامة وقدسية ذلك التراب، ناهيك عن وجود الروايات الشريفة في هذا الجانب قد وردت عن لسان المعصومين عليهم السلام لها دلالة على ذلك.

ومن الواضح والأكيد فإن جميع تلك الأعمال والأفعال هي من الشعائر المقدسة لسيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليهما السلام وهنيئاً لمن يعظمها ولاتزحزحه المحن ولاتنال منه المصائب

والثبات عليها، وطوبى لمن يُجرح أو يتحمل الآذى في هذا الطريق المقدس حتى وإن سجن وشرد وتعذب وتعرض للشتم والإهانة، وبالطبع فلن تترك كل تلك الأضرار والمحن التي يتعرض لها الشخص في منظومة الإمام الحسين عليه السلام تذهب سدى من دون جواب.

ديمومة مناسبة الأربعين

لا يختلف اثنان منّا بأن مراسم أربعينية الإمام الحسين عليه السلام هي واحدة من الشعائر الإلهية المهمة والعظيمة والتي لا مثيل لها ولانظير في تاريخ الإنسانية جمعاء، حيث تقام في كل سنّة في مدينة كربلاء المقدسة، يشترك فيها الناس من مختلف أصقاع العالم، ولا شك فإن حضور هذه الأمواج المليونية من الدول والبلدان الإسلامية وغير الإسلامية هي مقدمة لسعادة ورفاه الإنسانية في المسقبل المنظور وتحرير طاقاتها وإستعادة قدراتها، إذ تعتبر هذه المراسم خطوة مؤثرة ومشروع إحيائي لأجل نشر وترويج الثقافة الحسينية الغنية وموروثات الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام ومبتنياته السامية إلى العالم وهي ليست

رؤية طوبائية تحلم بها هذه الطائفة الحقة وإنما هو أمر واقع لا محال، إذن من المناسب بمكان الاستفادة من جميع الإمكانيات والطاقات الممكنة وتجيرها في هذا الطريق وبذل كل غالي ونفيس لإحيائها وإيصالها إلى المقصد المنشود حتى وإن أقتضى الأمر الإقتراض.

ولابد من بسط نفوذ وتأثيرات مراسم الأربعينة في جميع أرجاء المعمورة كي يصل ذلك اليوم الذي تتحقق فيه كافة الأهداف والغايات التي خرج وثأر من أجلها سيد الشهداء عليه السلام، وببركة دمه الطاهر والدماء السائلات من أهل بيته وأصحابه يتحقق ما ورد في مضمون الروايات الشريفة المتواترة «**الإسلام محمدي الوجود وحسيني البقاء**» فلولا ثورة الامام الحسين عليه السلام و نهضته المباركة لما بقي اليوم من الاسلام شيء يذكر. ولما كنا الآن مسلمين؛ بإعتبار إن الأعداء ـ وعلى مرّ التاريخ ـ بصدد القضاء على الإسلام والمسلمين بكل شكل من الأشكال، ومن هؤلاء الذين لعبوا دوراً مهماً في تحريف الإسلام والتلاعب بمقدرات المسلمين والمراهنة على سحب عوامل القوة والمنعة منه هو معاوية حيث قام هو وأبيه ابي سفيان عليهما اللعنة بإبعاد مسار الإسلام الأصيل عن

الجادة القويمة وبناء أسس فاسدة له، والتعامل معه بإنتقائية ومصلحية، وهذا ماصرح به إبنه الفاسد وشارب الخمر الطاغية يزيد حيث قال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل[1]

وهذا هو دليل جلي على العقيدة الفاسدة التي يحملها آل أبي سفيان وخطهم المشؤوم والضال، وهو ينم على عدم إيمانهم قيد أنملة بالإسلام وما أُنزل على قلب رسول الله ﷺ، وكانوا يظهرون إيمانهم من أجل الحفاظ على مصالحهم الضيقة، وفعلتهم الشنيعة في واقعة عاشوراء له أكبر دليل على ذلك.

لقد استطاع الإمام الحسين عليه السلام ومن خلال التضحيات الجسام والقرابين التي قدمها في واقعة الطف الأليمة من إخراج أشطاء التقوى وإنماء بذور الرجوع الى حظيرة الدين بعدما كادت أن تموت عطشاً في ذلك الوقت، وإذا رمنا من بيان حقيقة فلابد من القول بإنه لولا تلك التضحيات التي قدمها هو وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الميامين لم يكن للإسلام من وجود ولمحي شعار «**لا إله إلا الله**» من عالمنا اليوم، وعليه فلنشمر جميعاً عن

١. آمالي الصدوق، ص٢٣١؛ الإحتجاج للطبرسي، ج٢، ص١٢٢.

سواعدنا ونشد الهمم والعزائم لتعظيم وتجليل شعيرة الأربعين الحسيني وإيصالها الى مرحلة التأثير المباشر وإضاءة سراج الإيمان، وذلك بواسطة العمل على تفعيل كل الطاقات والإمكانيات كل من مسؤوليته الملاقاة على عاتقه وصبها في هذا المسير الإلهي لكي نتمكن ومن خلال العناية الإلهية وبركة الإمام الحسين عليه السلام وألطاف مولانا صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف من إقامة وإحياء والإنصهار في بودقة تلك المراسم في كل سنة وجعلها أفضل من السنة التي سبقتها، ومن الله التوفيق.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

لقد أكد سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله العالي في محاضرته القيمة التي ألقها في ليلة الحادي عشر من محرم الحرام والتي تسمى «بليلة الوحشة والغربة» لعام ١٤٣٩ هجرية قمرية على: مسألة ضرورة قراءة الرسالة التي بعثها الإمام الحسين عليه السلام جواباً على رسالة الطاغية معاوية بن أبي سفيان، من قبل شريحة الشباب، فالتأمل في جوانب هذه الرسالة والتدبر في مفرداتها يدرك وبوضوح مدى الدور المنحرف الذي وقفه الأمويون وعلى رأسهم معاوية في محاربة أنصار مذهب التشيع ورواده، كما تتوضح له الصورة عن حجم المحنة التي مر بها الشيعة إبان تلك الحقبة الزمنية. ولمعرفة ذلك أتينا من نشرها كاملة لتعم الفائدة المرجوة:

نص رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان

«أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها، وأن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت أنه رمي إليك عني، فإنما رقاه الملاقون المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أريد لك حربا ولا خلافا، وإني لأخشى الله في ترك ذلك

منك ومن حزبك القاسطين حزب الظلمة وأعوان الشيطان الرجيم.

ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين، الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة، جراة على الله وإستخفافاً بعهده؟

أو لست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت وآبلت وجهه العبادة، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال؟! أو لست المدعي زياداً في الإسلام فزعمت إنه ابن أبي سفيان وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله إن الولد للفراش والعاهر الحجر ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل؟! سبحان الله يا معاوية! كذلك لست من هذه الأمة وليسوا منك. أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك في زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه، ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وآله الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم؟!، وقلت فيما قلت: لا تردن هذه الأمة في فتنة وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت

فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد.

وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنه قربة إلى ربي، وإن لم أفعله فأستغفر الله لديني. وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى، وقلت فيما قلت: متى تكدني أكدك، فكدني يا معاوية! فيما بدا لك، فلعمري قديما يكاد الصالحون وإني لأرجو أن لا تضر إلا نفسك ولا تمحق إلا عملك فكدني ما بدا لك، واتق الله يا معاوية، واعلم أن لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيا يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا قد أبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية والسلام»[1].

١. كتاب الإمامة والسياسة، ج١، ص١٥٥ ـ ١٥٧؛ أعيان الشيعة، ج١، ص٥٨٣؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢١٢.

الفهرس

المقدّمة ٣

تعزية وشكر ٧

جذور الفاجعة ٩

حكومة معاوية فتنة أكبر من المكان والزمان ١٣

أبعاد الفاجعة ١٧

قلوب محزونة وأفواه مكممة ١٩

إجحاف الإعلام العالمي وعدم إنصافه ٢١

سبب السكوت المطبق لوسائل الإعلام ٢٤

قيادة غير كفوءه للعالم ٢٨

حق الأعداء في معرفة الحقيقة ٣١

بداية الفاجعة الأليمة ٣٦

القدرات الكامنة في الشعائر الحسينية ٤٠

جانب من تاريخ العراق المأساوي ٤٥

وظيفتنا صيانت الثقافة الإسلامية ٤٨

تحمل المصائب في طريق شعائر الإمام الحسين عليه السلام ٤٩

مكانة ومنـزلة الشعائر الحسينية المقدسة في الفقه الشيعي ٥٤

أشكال وأنماط الشعائر الحسينية المقدسة ٥٧

الشفاء بتربة الإمام الحسين عليه السلام وتربة معزيه ٥٨

شبهات من في قلبه مرض ٦١

ديمومة مناسبة الأربعين ٦٣

نص رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان ٦٧

الفهرس ٧١